

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[418] وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسْرِعَتِ إِنَّزْلَٰهُ يَوْمَ فُتِيَ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ

بِغَيْرِ حِسَابٍ(1). وهذه الآية الشريفة تدلّ من جهة على أنّ الإنسان يجب عليه أن يستعين بقوة الصبر والاستقامة في مقابل الصعوبات التي يفرضها الواقع وتفرضها عليه عملية الصراع مع الظالمين والجبابرة، لأنّه بدون ذلك فلا يوجد منفذ أمام الإنسان سوى الاستسلام للظالمين وقوى الانحراف والخضوع لهم. ومن جهة أخرى فإنّها تشير إلى ثواب الصابرين عند الله وأنّه لا يقبل العد والحساب. عبارة "بغير حساب" تشير إلى أنّ الله تعالى سوف يجازي هؤلاء الصابرين بالثواب العظيم إلى درجة أنّ أحداً لا يقدر على عدّه واحصائه إلاّ الله تعالى، ولهذا نقرأ في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قال: "إذا نشرت الدواوين ونُصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان، ثمّ تلا هذه الآية: إِنَّزْلَٰهُ يَوْمَ فُتِيَ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(2). وهذه العبارة "بغير حساب" وردت في آيات متعددة أغلبها يتعلق بالرزق الدنيوي الكثير الذي يهبه الله تعالى لبعض الناس، ولكن فقط في هذه "الآية 40 من سورة المؤمن" فتتحدّث عن الثواب الإلهي للمؤمن والصابر يوم القيامة، ومن المعلوم أنه إذا كان الرزق الدنيوي بدون حساب فإنّ ذلك لا يعني أنه يتناسب مع كمية العمل أو كفاءته، بل يتناسب مع لطف الله تعالى وعنايته لعبده، وبالتالي تكون ثمرته سامية جداً في مقام القرب الإلهي والكمال المعنوي. -- ونقرأ في "الآية الحادية عشر" تعبيراً جميلاً جداً عن أهمية الصبر والاستقامة، وذلك أنّ الملائكة عندما تستقبل أهل الجنة من كلّ باب يردون إليها يقولون لهم: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ يَوْمَ الزَّمْرِ، الآية 10، 2. أورد هذا الحديث كلّ من الطبرسي في مجمع البيان، والقرطبي في تفسيره، والبرسوثي في روح البيان، مع تفاوت يسير ذيل هذه الآية.